بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة الأولى في أسماء هذا العلم

لهذا العلم الجليل أسماء شريفة اصطلح عليها علماءُ أهل السُّنة تُنبِئ عن فحوى هذا العلم ، ومن تلك الأسماء :

السُّنة : وفيه دلالة على أنّ هذا العلم من أهم وأعظم ما بيّنه النبي ﷺ ، فليس هو آراءٌ اجتهادية ولا أقيسة عقلية وإنما هذا العلم "سنّة نبوية" ، سنّها لنا ودلنا عليها نبينا ﷺ ، وقام بها ودعا إليها من بعده أصحابه الكرام رضوان الله عليهم ، ومن المؤلفات التي سُمّيت بهذا الاسم :

- كتاب أصول السُّنة للإمام أحمد رحمه الله تعالى ت ٢٤١ هـ .
- كتاب السُّنة لعبدالله بن الإمام أحمد رحمهما الله تعالى ت ٢٩٠ هـ .

ومن الأسماء التي سُمّيَ بها هذا العلم :

الشَّريعة : وفيه دلالة على أنّ مسائل الاعتقاد مشروعة منزلة من عند الله تعالى ، ومن المؤلفات التي سُمّيت بهذا الاسم :

- كتاب الشريعة للإمام أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ - رحمه الله تعالى- ت ٣٦٠ هـ
- كتاب الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية للإمام أبو عبد الله عُبيد الله بن مُحمد بن حمدان العُكْبَري -رحمه الله تعالى- ت ٣٨٧ هـ .

ومن الأسماء التي سُمّيَ بها هذا العلم :

التّوحيد : وفيه دلالة على أنّه علم يبحث في توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة والتّأليه وأفعال الربوبية وما يستحقه من الأسماء الحسنى و الصفات العليّة ،

ومن المؤلفات التي سُمّيَت بهذا الإسم :

- كتاب التوحيد للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة -رحمه الله تعالى- ت ٣١١ هـ .
- كتاب التوحيد للإمام أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن مَنْدَه -رحمه الله تعالى- ت ٣٩٥ هـ
- كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- ت١٢٠٦ هـ

ومن الأسماء التي سُمّيَ بها هذا العلم :

أصول الدين : وفيه دلالة على أنّ مسائل هذا العلم هي الأساس الذي عليه يتم بنيان الدين ، ومن المؤلفات التي سُمّيَت بهذا الإسم :

- كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي –رحمه الله تعالى– ت ٤١٨ هـ .

المقدمة الثانية أهل السُّنة والجماعة

أهل السُّنة والجماعة هم الباقون على صراط الله المستقيم المتمسكون بسنن وهدي النبي ﷺ .

قال **أبو محمد ابنُ حزم** -رحمه الله تعالى- :

(وأهل السّنة الَّذين نذكرهم أهل الْحق وَمن عداهم فَأهل الْبدْعَة فَإِنَّهم الصَّحَابَة رَضِي الله عَنْهُم وكل من سلك نهجهم من خِيَار التَّابعين رَحْمَة الله عَلَيْهِم ثمَّ أَصْحَاب الحَدِيث وَمن اتبعهم من الْفُقَهَاء جيلاً فجيلاً إِلَى يَوْمنَا هَذَا أَو من اقْتدى بهم من الْعَوام فِي شَرق الأَرْض وغربها رَحْمَة الله عَلَيْهِم)

وقال **شيخ الإسلام ابن تيميّة** رحمه الله تعالى :

(وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مَذْهَبٌ قَدِيمٌ مَعْرُوفٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ أَبَا حَنِيفَةَ وَمَالِكًا وَالشَّافِعِيَّ وَأَحْمَدَ ، فَإِنَّهُ مَذْهَبُ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ تَلَقَّوْهُ عَنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ، وَمَنْ خَالَفَ ذَلِكَ كَانَ مُبْتَدِعًا عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)

المقدمة الثالثة الأصول المنهجية العامة لأهل السُّنة والجماعة

لأهل السُّنة والجماعة أصول منهجية عامة معرفتُها مع معرفة سماتهم و خصائصهم مما يُعين على معرفة الحق وأَتباعه ، و من تلك الأصول :

الأصل الأول : الاعتصام بالكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة والتسليم لهما

وقد قرر الله سبحانه هذه القاعدة تقريرا عظيما فقال سبحانه :

﴿ فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

قال الطحاوي –رحمه الله تعالى– :

(وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ)

وقال شارح الطحاوية –رحمه الله تعالى– :

(لَا يَثْبُتُ إِسْلَامُ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِنُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ، وَيَنْقَادُ إِلَيْهَا ، وَلَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهَا وَلَا يُعَارِضُهَا بِرَأْيِهِ وَمَعْقُولِهِ وَقِيَاسِهِ)

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

قال ابن كثير –رحمه الله تعالى– : (فَهَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا حَكَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِشَيْءٍ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مُخَالَفَتُهُ وَلَا اخْتِيَارَ لِأَحَدٍ هَاهُنَا ، وَلَا رَأْيَ وَلَا قَوْلَ)

وقال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

قال الزهري –رحمه الله تعالى– : (مِنَ اللَّهِ الرِّسَالَةُ ، وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَلَاغُ ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ)

فصل

ومن القواعد المقررة في الإسلام أن الله تبارك وتعالى لم يترك الخلق هملا ، بل أمرهم بعبادته وحده لا شريك له ، وجعل ذلك حقه عليهم ، وأرسل الرسل وأنزل الكتب تبيانا لهذا الحق ، وأمر الناس بطاعة الرسل ، بل حصر التلقي في أمر الدين والشرع والاعتقاد عليهم ، إذ هم المبلغون عن الله دينه وشرعه .

وفي هذا دلالة قاطعة على أنه لا يجوز لمسلم أن يتلقى اعتقادًا ، ولا شرعًا ، ولا حلالًا ولا حراماً ، إلا من الوحي الكريم .

قال تعالى في بيان أن الوحي هو مصدر الدين والإيمان :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ فسمى وحيه روحًا لأن به حياة القلوب وجعله مصدر الإيمان ، فلا عقيدة مستقيمة إلا ما كانت متلقاة عن طريق الوحي .

الأصل الثاني :

الإيمان عند أهل السنة حقيقة مركبة من الأقوال والأعمال و الاعتقادات فهو قول وعمل ، وهو أصل له شُعب ، وكل شعبة منه تسمى إيمانًا .

قال الإمام الشافعي –رحمه الله تعالى – :

(وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ، ممن أدركناهم : أنّ الإيمان قول وعمل ونية ، ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر)

وقال الإمام الأوزاعي – رحمه الله تعالى – : (لا يستقيم الإيمان إلا بالقول ، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل ، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة . . فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق بعمله فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدق بعمله لم يقبل منه ،وكان في الآخرة من الخاسرين)

*وشعب الإيمان نوعان من جهة ذاتها ، وكذا من جهة حكمها وتأثيرها في الإيمان :

فأما من جهة ذاتها :

فـ شُعب إيمانية باطنة محلها القلب والنفس

" ويدخل في هذا جميع الأعمال والاعتقادات القلبية "

وشُعب إيمانية ظاهرة محلها اللسان والجوارح

" ويدخل في هذا جميع العبادات الظاهرة "

وأما من جهة حُكمها وتأثيرها :

فـ شُعب يزول الإيمان بزوالها

وشُعب لا يزول الإيمان بزوالها وإنما ينقص ويضعُف "ومن هنا قال أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقُص"

الأصل الثالث :

أهل السُنة يُعظّمون الصحابة رضوان الله عليهم ويحسنون الثناء عليهم ويرون عدالتهم وإنما يُفهم الكتاب والسنة بفهمهم وإجماعهم حجة شرعية لا يجوز خلافها

وهذا أصل عظيم من أصول أهل السُنة ويتبين بمسائل :

المسألة الأولى :

أنهم يعتقدون محبتهم وأنهم خير صحب لخير نبي وأنه بعلمهم وعملهم وجهادهم قام هذا الدين ومنهم وعنهم وصلنا غضاً طريّا كما أنزله الله على رسوله ﷺ .

المسألة الثانية :

أن الصحابة – رضوان الله عليهم – كلهم عدول ثقات بتعديل الله لهم صادقون لا يكذبون فيما يروونه عن رسول الله ﷺ .

قال الإمام أبو زرعة الرازي – رحمه الله تعالى – :

(إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ عِنْدَنَا حَقٌّ ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ ، وَإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا

هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يُجَرِّحُوا شُهُودَنَا لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ، وَالْجَرْحُ بِهِمْ أَوْلَى وَهُمْ زَنَادِقَةٌ)

المسألة الثالثة :

أجمع أهل السُنة أن الصحابة يتفاضلون وفي كُلٍ خير وأن أفضلهم الخلفاء الراشدون و أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة . .

عن عبدالله بن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : (كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)

وعَنْ مُحَمَّدِ بن علي بن أبي طالب ، قَالَ : (قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ» ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ : «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ») رواهما البخاري -رحمه الله تعالى- .

المسألة الرابعة :

السكوت عما وقع بينهم من خلاف وقتال ، واعتقاد أنهم كانوا أهل اجتهاد وتأويل ، و أنهم يدورون بين الأجر والأجرين .

قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى – لما سُئل عما وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم :

(تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أطهر منها لساني)

قال شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– :

(فَمَنْ جزَمَ فِي واحِدٍ مِنْ هؤُلَاءِ بِأَنَّ لَهُ ذنْبًا يدْخُل بِهِ النَّار قطْعًا فهُو كاذِبٌ مُفْترٍ . فَإِنَّهُ لوْ قال مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ لكان مُبْطِلًا فَكَيْفَ إذَا قَال مَا دَلَّتْ الدَّلَائِل الْكَثِيرَةُ عَلَى نَقِيضِهِ ؟ فَمَنْ تَكَلَّمَ فِيمَا شجَرَ بَيْنَهُمْ – وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنْهُ: مِنْ ذَمِّهِمْ أَوْ التَّعَصُّبِ لِبَعْضِهِمْ بِالْبَاطِلِ – فَهُوَ ظَالِمٌ مُعْتَدٍ)

قال ابن حجر – –رحمه الله تعالى– – : (وَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى وُجُوبِ مَنْعِ الطَّعْنِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَلَوْ عَرَفَ الْمُحِقَّ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ إِلَّا عَنِ اجْتِهَادٍ وَقَدْ عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْمُخْطِئِ فِي الِاجْتِهَادِ بَلْ ثَبَتَ أَنَّهُ يُؤْجَرُ أَجْرًا وَاحِدًا وَأَنَّ الْمُصِيبَ يُؤْجَرُ أَجْرَيْنِ)

ومن خصائص وسمات أهل السنة والجماعة :

أولا : أهل السُنة هم أعلم الناس بأحوال وسنن وشمائل رسول الله ﷺ ولذلك هم أقرب الناس إليه، وأولى الناس به، ولا معصوم عندهم سواه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

قال **شيخ الإسلام** -رحمه الله تعالى- : (وَمِنْ الْمَعْلُومِ : أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ أَخَصُّ بِالرَّسُولِ وَأَتْبَاعِهِ، فَلَهُمْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَتَخْصِيصِهِ إيَّاهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَتَضْعِيفِ الْأَجْرِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ . . . فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ الرَّسُولُ أَكْمَلَ الْخَلْقِ وَأَعْلَمَهُمْ بِالْحَقَائِقِ وَأَقْوَمَهُمْ قَوْلًا وَحَالًا : لَزِمَ أَنْ يَكُونَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِهِ أَعْلَمَ الْخَلْقِ بِذَلِكَ وَأَنْ يَكُونَ أَعْظَمُهُمْ مُوَافَقَةً لَهُ وَاقْتِدَاءً بِهِ أَفْضَلَ الْخَلْقِ)

وقال أيضا : (فَإِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ لَا يَكُونُ مَتْبُوعُهُمْ إلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى إنْ هُوَ إلَّا وَحْيٌ يُوحَى فَهُوَ الَّذِي يَجِبُ تَصْدِيقُهُ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَ وَطَاعَتُهُ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ لِغَيْرِهِ مِنْ الْأَئِمَّةِ) فأهل السنة ليس لهم اسم إلا السنة عنها يصدرون، وإليها يردون وبها يتسمون .

ثانيًا : أن إجماع السلف الصالح حجة شرعية يجب المصير إليها

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾

قال الشافعي – رحمه الله تعالى – :

(فقال لي قائل :

فما حجتك في أن تَتْبع ما اجتمع الناس عليه مما ليس فيه نص حكم لله، ولم يحكوه عن النبي ﷺ ؟ فقلت له : فكنا نقول بما قالوا به اتباعاً لهم ، ونعلم أنهم إذا كانت سنن رسول الله لا تَعزُبُ عن عامتهم، وقد تعزُبُ عن بعضهم . ونعلم أن عامّتهم لا تجتمع على خلافٍ لسنة رسول الله، ولا على خطأ ، إن شاء الله)

ثالثًا : ثباتهم على الحق وصبرهم عليه وعدم تقلبهم وتخبطهم وتذبذبهم كحال أهل الأهواء ، وهذا نتاج اليقين والإيمان الذي خالط قلوبهم .

روى البخاري في قصة هرقل عظيم الروم أنه سأل أبا سفيان رضي الله عنه عمن أسلم مع النبي ﷺ فقال : هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ؟ فقال أبو سفيان : (لا) فقال هرقل : (وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ لاَ يَسْخَطُهُ أَحَدٌ) .

رابعًا : اتفاقهم في أمور العقيدة وعدم اختلافهم مع اختلاف الزمان والمكان .

قال قوّام السُنة الأصبهاني :

(وَمِمَّا يدل عَلَى أَن أهل الحَدِيث هم عَلَى الْحق ، أَنَّك لَو طالعت جَمِيع كتبهمْ المصنفة من أَوَّلهمْ إِلَى آخِرهم ، قديمهم وحديثهم مَعَ اخْتِلَاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد مَا بَينهم فِي الديار ، وَسُكُون كل وَاحِد مِنْهُم قطرا من الأقطار ، وَجَدتهمْ فِي بَيَان الِاعْتِقَاد عَلَى وتيرة وَاحِدَة، ونمط وَاحِد يجرون فِيهِ عَلَى طَرِيقَة لَا يحيدون عَنْهَا ، وَلَا يميلون فِيهَا ، قَوْلهم فِي ذَلِك وَاحِد ونقلهم وَاحِد ، لَا ترى بَينهم اخْتِلَافا ، وَلَا تفرقا فِي شَيْء مَا وَإِن قل، بل لَو جمعت جَمِيع مَا جرى عَلَى ألسنتهم، ونقلوه عَن سلفهم، وجدته كَأَنَّهُ جَاءَ من قلب وَاحِد ، وَجرى عَلَى لِسَان وَاحِد ، وَهل عَلَى الْحق دَلِيل أبين من هَذَا ؟)

خامسًا : اعتقادهم أن طريقة السلف الصالح هي الأسلم والأعلم و الاحكم في الأصول والفروع .

قال ابن رجب الحنبلي : (فمن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام وكثرة الجدل والخصام ، والزيادة والنقصان

على مقدار الحاجة لم يكن عيّا ولا جهلا ولا قصورا ، وإنما كان ورعا وخشية لله واشتغالا عما لا ينفع بما ينفع)

سادسًا : أهل السنة والجماعة هم أرحم الناس بالناس و أنفع الخلق للخلق

يصدق فيهم قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۞ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۞ ﴾

سابعًا : أهل السنة و الجماعة لا يرون الجدال والمراء في الدين و يكرهون الخلاف

قال ابن بطة –رحمه الله تعالى– : (فَاعْلَمْ يَا أَخِي أَنِّي لَمْ أَرَ الْجِدَالَ وَالْمُنَاقَضَةَ ، وَالْخِلَافَ ، وَالْمُمَاحَلَةَ ، وَالْأَهْوَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ ، وَالْآرَاءَ الْمُخْتَرَعَةَ مِنْ شَرَائِعِ النُّبَلَاءِ ، وَلَا مِنْ أَخْلَاقِ الْعُقَلَاءِ ، وَلَا مِنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ الْمُرُوءَةِ ، وَلَا مِمَّا حُكِيَ لَنَا عَنْ صَالِحِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَا مِنْ سِيَرِ السَّلَفِ ، وَلَا مِنْ شِيمَةِ الْمَرْضِيِّينَ مِنَ الْخَلَفِ ، وَإِنَّمَا هُوَ لَهْوٌ يُتَعَلَّمُ) قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ –رحمه الله تعالى– : (مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ)

قال مَالِك بْن أَنس -رحمه الله تعالى- : (الْمِرَاءُ فِي الْعِلْمِ يُقَسِّي الْقَلْبَ ، وَيُورِثُ الضِّغْنَ) وقال : (الجدال والْمِرَاءُ فِي الْعِلْمِ يذهبُ بنور الْعِلْمِ)

ثامنًا : أهل السنة والجماعة أهل عدل وإنصاف .

فهم أبعد الناس عن التكفير والتبديع و التفسيق إلا بمسوغ شرعي ، ويرون أن من القواعد العظيمة التي هي جماع الدين : تأليف القلوب ، واجتماع الكلمة ، وإصلاح ذات البين ، قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- : (وَلَيْسَ لِأَحَدِ أَنْ يُكَفِّرَ أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ أَخْطَأَ وَغَلِطَ حَتَّى تُقَامَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ وَتُبَيَّنَ لَهُ الْمَحَجَّةُ وَمَنْ ثَبَتَ إسْلَامُهُ بِيَقِينِ لَمْ يَزُلْ ذَلِكَ عَنْهُ بِالشَّكِّ؛ بَلْ لَا يَزُولُ إلَّا بَعْدَ إقَامَةِ الْحُجَّةِ وَإِزَالَةِ الشُّبْهَةِ)

تاسعًا : أهل السنة والجماعة يرون وجوب السمع والطاعة للأئمة المسلمين ما لم يؤمروا بمعصية ، ويرون لزوم جماعة المسلمين ، وشهود الجُمع والجماعات والأعياد معهم ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ .

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (السَّمْعُ والطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بمَعْصِيَةٍ، فإذَا أُمِرَ بمَعْصِيَةٍ فلا سَمْعَ ولَا طَاعَةَ) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شيْئًا يَكْرَهُهُ فلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فإنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً) .

الباب الأول الإيمان بالله تعالى وثمراته

معرفة الله تعالى هي غاية الغايات ومنتهى الطلبات وأعظم الضرورات ، وعبادته والتوكل عليه وتفويض الأمور إليه هو منتهى الطلب وغاية القصد .

أولا : توحيد الربوبية : ويتحقق بأن يؤمن العبد بأن الله هو رب العالمين وخالق الخلق أجمعين .

فصل " دلائل الإيمان بوجود الخالق تعالى "

الإيمان بوجود الخالق تعالى له دلائله العظيمة الشاهدة على ذلك :

(١) : وأعظم وأهم هذه الدلائل هي الفطرة التي فطر الله عليها خلقه قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (*) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۞ ﴾ ، فطر الله تعالى الخلق على الإيمان به ومعرفته و الإسلام له ، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ قال : (الإسلام مُذ خلقهم الله ، من آدم جميعا يقرّون بذلك) .

ومن أعرض عن هذه الفطرة وتنكر لها عوقب بطمس بصيرته نسأل الله العافية، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾.

وإنما تتعطل الفطرة عن حقيقتها وتصرف عن وظيفتها .. لأمرين اثنين:

الأول: ما يطرأ عليها من مُحرفات ثم يقع التكذيب بسببها كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟» ثُمَّ يَقُولُ: أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه واقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾.

الثاني : الإعراض عما أعده الله لجلاء هذه الفطرة وتكميلها ، وهو اتباع الرسل فيما أرسلوا به ، قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

فصل

والنفس البشرية مفطورة على الفقر والحاجة ، فلابد لها من مطلوب مُراد تطلبه ضرورة بفطرتها الفقيرة المحتاجة ، وكونها مريدة هو من لوازم ذاتها وحقيقة تركيبها ، فلا يتصور قط أن تكون نفس الإنسان غير مُريدة ولا طالبة لمراد لها مطلوب لها ، وهذا المراد المطلوب الذي تطلبه النفس البشرية ، إما أن يكون مُرادا لذاته أو مُرادًا لغيره ، والمراد لغيره لابد ضرورة أن ينتهي إلى مُراد لذاته .

فإذا كان الأمر كذلك فمن الممتنع أن تكون النفس البشرية مفطورة على أن تأله غير الله رب العالمين ، وذلك لوجوه منها :

(١) : أنه ليس مخلوق معين بأولى من غيره أن يكون إلها لبقية المخلوقات ، وذلك لاشتراكه معها في صفة المخلوق المسبوق بالعدم المدرك بالفناء

الموصوف بالنقص .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

(٢) : أن المشركين لم يتفقوا على إله معين من هذه المخلوقات ، بل عبد كلُ قوم ما استحسنوه .

(٣) : فقرُ المخلوق المطلوب لما افتقر إليه غيره من المخلوقات الطالبة له ، فلا بد أن ينتهوا جميعا إلى إله أول غني خالق مدبر ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ۞ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۞ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ .

فتبين أنه لابد من إله معين هو المحبوب المطلوب لذاته من كل المخلوقات ، ومن الممتنع أن يكون هذا غير الله رب العالمين .

(٢) : **ومن البراهين والدلائل العظيمة الدالة على وجود الخالق سبحانه دليل الخلق والعناية .**

قال تعالى : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾ وقال : ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ وقال : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ۞ أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون ﴾

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- : (فإن هذا تقسيم حاصر يقول : أخلقوا من غير خالق خلقهم ؟ فهذا ممتنع في بدائه العقول ، أم هم خلقوا أنفسهم ؟ ! فهذا أشد امتناعا ، فعلم أن لهم خالقا خلقهم ، وهو سبحانه وتعالى ذكر الدليل بصيغة استفهام الإنكار ليبين أن هذه القضية التي استدل بها فطرية بديهية مستقرة في النفوس لا يمكن لأحد إنكارها فلا يمكن صحيح الفطرة أن يدعي وجود حادث بدون محدث أحدثه ، ولا يمكنه أن يقول هو أحدث نفسه)

إذن نعلم أن المخلوقات جميعًا يجب ضرورةً عقلًا وشرعًا أن تنتهي في بداياتها إلى خالق خلقها ، وموجد أوجدها من العدم ، وإلى أول ليس قبله شيء بلا بداية .

ويجب ضرورة عقلا وشرعا أن الخالق تعالى له وصفان :

الوصف الأول : أن وجوده ذاتي لم يستفده من غيره .

روى أَبو الْعَالِيَةِ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ ، قَالَ: (لَا فِكْرَةَ فِي الرَّبِّ) .

الوصف الثاني : أنه يجب وجوبًا ضروريًا عقلا وشرعًا أن يكون خالق العالم ومنشأه وموجده خارج عن حدود الزمان والمكان ، وكلام أئمة السنة على هذا المعنى يدور :

قال الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله تعالى– : (ليس من الله شيء محدود ، ولا يبلغ علم قدرته أحد ، غلب الأشياء كلها بعلمه وقدرته وسلطانه ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وكان الله قبل أن يكون شيء ، والله هو الأول وهو الآخر ، ولا يبلغ أحد حدّ صفاته)

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي -رحمه الله تعالى- : (وهو تعالى مستغن عن العرش ، وما دونه ، محيط بكل شيء وفوقه ، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه)

وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك ، وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وإنما المراد : إحاطة عظمته ، و سعة علمه و قدرته ، و أنها بالنسبة إلى عظمته كالخردلة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم "

ويتضح ذلك بوجوه من الإيضاح مهمة :

الوجه الأول : أنه ما ثم في الوجود إلا الخالق والمخلوق ، فالله تعالى بأسمائه وصفاته هو الخالق ، وكل ما سواه فمخلوق مربوب ، فلو فرض أن الله تعالى تحده الحدود ، فيلزم منه أن يكون الله تعالى محصورًا بين المخلوقات وهذا باطل قطعًا عقلا وشرعًا .

الوجه الثاني : أن الله تعالى كان ولم يكن شيء غيره ، أخرج الإمام الترمذي – رحمه الله تعالى – من حديث أَبِي رَزِينٍ ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟ قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى المَاءِ»

و ألفاظ السلف تدور على هذا :

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ: قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: "العَمَاءُ: أَيْ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ" .

وقال مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ : (قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا)

وقال الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله تعالى– : (فقالوا ـ أي الجهمية ـ لا تكونوا موحدين أبدا حتى تقولوا : قد كان الله ولا شيء ، فقلنا نحن نقول : قد كان الله ولا شيء ، ولكن إذا قلنا : إن الله لم يزل بصفاته كلها أليس إنما نصف إلها واحدًا بجميع صفاته)

فإذا ثبت هذا وتبين أن الله تعالى كان ولم يكن شيء غيره ، ثم إنه تعالى بدأ الخلق ، وخلق تعالى كل ما سواه فيقال :

- إما أن يكون خلق المخلوقات داخل ذاته . . وهذا باطل قطعًا عقلًا وشرعًا .

- وإما أن يكون هو عينُ هذه المخلوقات . . وهذا أشد بُطلانًا .
- وإما أن يكون خلقها ثم حلَّ فيها . . وهذا فاسد باطل أيضًا .
- أو أنه خلق المخلوقات خارجَ ذاته . . وهذا هو المقطوع به عقلًا وشرعًا

الوجه الثالث :

أن الله تعالى هو الأول قبل وجود الخلق ، وهو الآخر قبل فنائهم ، ولم يستفد صفة بعد وجودهم .

وكلام الأئمة يدور حول هذا ويقرره :

قال الإمام أحمد : (لم يزل الله متكلماً عالماً غفوراً) .

والقول بأن الله عز وجل حدثت له صفة الكلام بعد أن لم يكن متصفا بها يقتضي أحد أمرين :

الأول : أن يكون حدث له الكلام بمحدث أحدثه فيه ، وهذا في غاية البطلان ، لأنه كان ولم يكن معه غيره ، ويلزم منه أن الله تبارك وتعالى ناقصٌ كمّلهُ غيره ، تعالى الله عن ذلك عُلوا كبيرًا .

الثاني : أن يكون أحدث لنفسه الكلام فيكون الكلام مخلوقاً كبقية المخلوقات ، وهذا باطل بطلانا عظيمًا ، فإنه يلزم منه :

- أن يكون القرآن الذي هو كلام الله مخلوقٌ ، وهذه إحدى المسائل الكُبرى التي اتفق السلف على إبطالها بل وتكفير قائلها .
- أن يكون الله تعالى تكمّل ببعض مخلوقاته وكفى بهذا بُطلانًا .

وقول الإمام أحمد : (لم يزل الله متكلماً عالماً غفوراً) يعني أن الله تعالى كان عالمًا في الأزل – قبل وجود المعلوم – والعلم من لوازم ذاته ، وعلمه تعالى بالأشياء على نوعين :

الأول : علمه تعالى بنفسه المقدسة وصفاته الجليلة ، فهذا علم أزلي كما أن نفسه و صفاته أزلية . (وهذا النوع لا تأثير له في وجود معلومه)

الثاني : علمه تعالى بمخلوقاته ، و له ثلاث جهات :

- علمه بها قبل كونها (وهذا علم أزلي لم يأت على الله قط زمن لم يكن غير عالم بها)

- علمه بها وقت إيجادها وخلقها (وهذا العلم شرط الخلق ، فالعلم بها شرط في وجودها ، لكن العلم وحده ليس العلة في وجودها وإنما لابد معه من الإرادة و القدرة)
- علمه بها كائنة موجودة .

(٣) : **ومن البراهين والدلائل العظيمة الدالة على وجود الخالق سبحانه دليل الحياة والموت .**

والحياة : نفحة من روح الله الخلاق العليم .

قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾

ولما كان دليل الموت والحياة من أعظم الأدلة على ثبوت الإيمان بالخالق جل وعلا طلب كبار أنبياء الله تعالى حصول هذا الدليل و رؤيته لتطمئن به قلوبهم .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

واعلم أن هذا البرهان العظيم إنما يتوجه دليلا عظيما قاطعا يدل البشر على خالقهم من جهتين اثنين :

الأولى : رؤية البشر عيانا تولّدُ الحياة في الموات ، قال تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

الثانية : عجز البشر التام وانقطاعهم المحض عن أن يوجدوا جنس الحياة أو شيئًا منها في الجماد ، وهم مقرون معترفون بعجزهم وانقطاعهم عن ذلك .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۞ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

(٤) : ومن البراهين والدلائل العظيمة الدالة على وجود الخالق سبحانه دليل الرعاية للخلائق .

قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ والرب في اللغة : هو القائم على الشيء المعتني به المصلح له ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

روي عن الشافعي – رحمة الله عليه – أنه سئل عن وجود الصانع فقال :

(هذا ورق التوت طعمه واحد ، يأكله الدود فيخرج منه الإبريسم ، وتأكله

النحلة ، فيخرج منها العسل ، وتأكله الشاة و البعير والأنعام فتلقيه بعرًا و روثا ، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك وهو شيء واحد)

قال أبو نواس رحمه الله :

تَأمل فِي نَبَات الأَرْض وَانْظُر . . . إِلَى آثَار مَا صنع المليك

عُيُون من لجين شاخصات . . . بأحداق كَمَا الذَّهَب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات . . . بِأَن الله لَيْسَ لَهُ شريك

(٥) : **ومن البراهين والدلائل العظيمة الدالة على وجود الخالق سبحانه دليل الفقر والحاجة .**

فالإنسان من حيث هو إنسان هو في الحقيقة عبد ضعيف فقير ، والفقر وصف لازم له لا ينفك عنه أبدا .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ، وقال تعالى عن نبيه وكليمه موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ وهذه هي العبودية العامة القهرية الشاملة ، كما قال تعالى : ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ ، ولفقرهم وحاجتهم تكفل ربهم بأرزاقهم و معاشهم فالله تبارك وتعالى هو رازقهم كما هو خالقهم

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ .

فإذا تبين هذا لزم العباد الإقرار والخضوع والانقياد لربهم تعالى ، فالحدوث دليل افتقار الأشياء إلى محدثها ، فإن الحاجة إلى الرزق دليل افتقار المرزوق إلى الخالق الرزاق جل وعلا .

واعلم أن الأشياء مفتقرة إلى الخالق لذواتها لا لأمر آخر جعلها مفتقرة إليه بل فقرها وصف لازم لها كما أن غناء الرب وصف لازم له .

ثانـيًا : توحيد الألوهية

وهو لازم توحيد الربوبية ، فإن العبد إذا عرف أن الله خالقه وربه ومدبر أمره ، لزم من ذلك أن يعبده وحده لا شريك له ، فهو إخلاص العبادة لله وحده من جميع الخلق .

والكلام في هذا التوحيد من باب الطلب والإرادة الدائر بين المحبة والكراهية نفيًا واثباتًا

و فيه جملة من المسائل :

المسألة الأولى :

إن تحقيق عبادة الله وحده لا شريك له ، وإفراده بالألوهية والتشريع هو الغاية التي من أجلها خلق الله الجن والإنس وخلق العالم . قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ فيعلم أن من ترك عبادة الله تعالى ، أو أشرك معه في العبادة غيره ، أو شرع من دونه ، أو كفر بشرعه ، أو كذب وحارب رسله ، أنه خالف ما من أجله أوجده الله ، وسخر له ما في السماوات و الأرض .

المسألة الثانية :

إنّ شهادة أن لا إله إلا الله ، و إفراده بالعبادة هو أول ما يجب على العباد تجاه خالقهم و ربهم تعالى ، وهو ما عرف بمسألة أول واجب على المكلف ، فإن رسل الله تعالى عليهم الصلاة والسلام أول ما يدعون إليه أقوامهم هو : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ وقال تعالى مبينًا ذلك : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ .

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن قال له : (إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ) .

المسألة الثالثة :

إن كلمة التوحيد الجليلة إذا قالها العبد وتصورها واعتقدها وفقه معناها أثبتت في حسه كل محبة وخضوع وخشية وإنابة وتعظيم لله سبحانه وتعالى ،

ونفت عنده أربعة أنواع من المعبودات من دون الله :

النوع الأول : الآلهة

الآلهة : اسم جامع لكل ما أُله وعُبد من دون الله أو أشرك مع الله في نوع من العبادة ، فلا إله يستحق التعظيم والعبادة إلا الله رب العالمين ، قال تعالى عن مؤمن آل ياسين : ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ وقال تعالى عن أصحاب الكهف : ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

وفي قصة حصين الخزاعي – والد عمران بن حصين – أن النبي صلى الله عليه وسلم لقيه فقال : (« كم تعبد من إله » ؟ قال : « سبعا في الأرض وواحدا في السماء » قال : « فإذا أصابك الضّر من تدعو » ؟ قال : « الّذي في السماء » قال : « فإذا هلك المال من تدعو ؟ » قال : « الّذي في السماء » قال: « فيستجيب لك وحده وتشركهم معه ؟ أرضيته في الشّكر أم تخاف أن

يغلب عليك ؟ » قال : « ولا واحدة من هاتين » قال: « وعلمت أني لم أكلم مثله » . قال: « يا حصين أسلم تسلم »)

النوع الثاني : الأنداد والند : النظير والكفؤ والمثيل ، والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ، فينبغي كذلك ألا يُجعل له ند في حقوقه ، فمن جعل شيئًا من ذلك لغير الله فقد جعله ندا لله تعالى ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ ؟ قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»

النوع الثالث : الأرباب والأرباب جمع ربٍّ وهو كل سيد مطاع ، فمن أعطي الطاعة المطلقة والسيادة المطلقة يطاع أمره ويُتبع شرعه من دون الله تعالى فقد جعل ربًا من دون الله رب العالمين .

قال تعالى في بيان أحد أنواع وصور كفر و شرك اليهود و النصارى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

وروى الترمذي وغيره حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقَالَ : «يَا عَدِيَّ

اطْرَحْ هَذَا الْوَثَنَ مِنْ عُنُقِكَ» قَالَ: فَطَرَحْتُهُ وَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ ، فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»

النوع الرابع: الطواغيت وهو كل ما تجاوز به العبد حده من مألوه أو متبوع أو مطاع ، وعرفه بعضهم: بأنه كل ما عُبد من دون الله وهو راض قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى– : (وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدِي فِي الطَّاغُوتِ أَنَّهُ كُلُّ ذِي طُغْيَانٍ عَلَى اللَّهِ فَعُبِدَ مِنْ دُونِهِ، إِمَّا بِقَهْرٍ مِنْهُ لِمَنْ عَبَدَهُ، وَإِمَّا بِطَاعَةٍ مِمَّنْ عَبَدَهُ لَهُ، وَإِنْسَانًا كَانَ ذَلِكَ الْمَعْبُودُ، أَوْ شَيْطَانًا، أَوْ وَثَنًا، أَوْ صَنَمًا، أَوْ كَائِنًا مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ) .

المسألة الرابعة :

وتوحيد الإلهية مركب من ركنين عظيمين :

(١) : عبادة الله وحده لا شريك له بكل أنواع العبادات التي شرعها وسنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ .

(٢) : أن التشريع والحكم حقٌّ خالص لله رب العالمين .

فالتشريع من دون الله يعارض توحيد الألوهية وينقضه ، قال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فهذه الآيات مثبتة أنه لا فرق بين شرك العبادة وشرك التشريع ، وأن كلاهما من حق الله الخالص ومن دينه القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – :

(وأصل الضلال في أهل الأرض إنما نشأ من هذين : إما اتخاذ دين لم يشرعه الله أو تحريم ما لم يحرمه الله)

المسألة الخامسة خطر الشرك وعظيم ضرره :

حقيقة الشرك : جعل من لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا شبيهًا بمن له الخلق و الأمر كله

قال حُذَيْفَةُ بْنِ اليَمَانِ : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي . .

قال تعالى في بيان عظيم خطر الشرك : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ قال ابن كثير –رحمه الله تعالى– : أَخْبَرَ تَعَالَى : (أَنَّهُ ﴿ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ أَيْ: لَا يَغْفِرُ لِعَبْدٍ لَقِيَهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ بِهِ ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ﴾ أَيْ: مِنَ الذُّنُوبِ ﴿ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ أَيْ: مِنْ عِبَادِهِ) ، وقال : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾

فأخبر أن مصير المشرك إذا مات على الشرك النار ، والجنة محرمة عليه أبدا

ولذا ستلحقهم أشد الندامة وأعظم الحسرة كما قال تعالى عنهم :

﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

قال الطبري –رحمه الله تعالى– : (يقول الغاوون للذين يعبدونهم من دون الله : تالله إن كنا لفي ذهاب عن الحقّ حين نعدلكم برب العالمين فنعبدكم من دونه)

وكذلك فالشرك سبب حبوط جميع الأعمال ، فلا يشفع معه كثرة عمل ، ولا علو قدر ، قال تعالى مخاطبا خيرة خلقه و صفوة رسله : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

وفي حديث عَبْدِ اللَّه بن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ : قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَةً وَقُلْتُ أُخْرَى ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ » وَقُلْتُ أَنَا : (مَنْ مَاتَ وَهْوَ لاَ يَدْعُو لِلَّهِ نِدًّا دَخَلَ الْجَنَّةَ)

المسألة السادسة أنواع الشرك وصوره :

الشرك ينقسم إلى نوعين :

(١) الشرك الأكبر وهو المخرج من الملة

(٢) الشرك الأصغر وهو دون الأكبر .

أولا : الشرك الأكبر ويدخل فيه نوعان :

(١) : شرك في الربوبية وهو المتعلق بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من الخلق والتدبير .

(٢) : شرك في الألوهية وهو شرك العبادة والمعاملة .

قال شيخ الإسلام : (فَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا فَالشِّرْكُ إِنْ كَانَ شِرْكًا يَكْفُرُ بِهِ صَاحِبُهُ، وَهُوَ نَوْعَانِ : شِرْكٌ فِي الْإِلَهِيَّةِ وَشِرْكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ)

أما النوع الأول : " شرك الربوبية " فأصله وقاعدته " التعطيل " وهو : (تعطيل المصنوع عن صانعه والمربوب عن ربه و المخلوق عن خالقه) وله صور :

الأولى : شرك التعطيل و الإلحاد . كشرك فرعون ، قال تعالى عنه : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال ابن كثير –رحمه الله تعالى– : (وكَانُوا يَجْحَدُونَ الصَّانِعَ – تَعَالَى – ويَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ لَا رَبَّ لَهُمْ سِوَى فِرْعَوْنَ، فَلَمَّا قَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، قَالَ لَهُ: ومَنْ هَذَا الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ غَيْرِي؟ هَكَذَا فَسَّرَهُ عُلَمَاءُ السَّلَفِ وَأَئِمَّةُ الْخَلَفِ . .)

الثانية : شرك (التثنية) ويسمى شرك (الاستقلال) وهو إثبات خالقين متكافئين للعالم كلٌ منهما مستقل بخلقه عن الآخر ، وهو شرك جميع طوائف (الثنوية)

قال الشهرستاني رحمه الله : (ثم إن التثنية اختصت بالمجوس، حتى أثبتوا أصلين اثنين، مدبرين قديمين؛ يقتسمان الخير والشر، والنفع والضر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما: النور والآخر الظلمة. وبالفارسية: يزدان وأهرمن)

الثالثة : شرك الفلاسفة القائلين أنه لم يصدر عن الله إلا شيء واحد بسيط صدورَ العلة عن معلولها ، من غير إرادة ولا تأخر زمن ، وهذا شرٌّ من شرك عُباد الأصنام لتضمنه تعطيل الخالق جل وعلا ، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرا .

أما النوع الثاني – من نوعي الشرك الأكبر – :

" شرك الألوهية " وهو شرك عامة أهل الإشراك وهو : (أن يصرف نوعا أو فردًا من أنواع العبادة لغير الله تعالى)

قال المقريزي –رحمه الله تعالى– : (اعلم أن حقيقة الشرك: تشبيه الخالق بالمخلوق، وتشبيه المخلوق بالخالق، أمّا الأول فإن المشرك شبّه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهيّة، وهي التفرّد بملك الضرّ والنفع، والعطاء

والمنع ، فمن علّق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى ، وسوّى بين التراب وربّ الأرباب، فأي فجور وذنب أعظم من هذا ؟ !)

وهذا الشرك هو الضلال العظيم الناقض للإيمان المخرج من ملة الإسلام المحكوم على أهله بالخلود في النيران .

قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ وقال تعالى في خطاب المسيح لقومه : ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ .

ثانيًا : الشـرك الأصغر

وهو دون الأكبر فلا يزول به الإيمان ولا يخرج فاعله من ملة الإسلام ، ولكنه على ضلال عظيم وخطر جسيم .

وضبط هذا النوع مما تباينت فيه ألفاظ العلماء فقيل :

(كل وسيلة وذريعة يُتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة)

وقيل : (كُلّ ما سماه الشارع شركًا ودلّ الدليل على صرفه من الشرك الأكبر فهو الأصغر)

وقيل : (أن كُلّ ذنب أطلق الشارع عليه لفظ "كفر" أو "شرك" مجردا من "أل" ، أو "ليس منا" أو "من عمل الجاهلية" فهو من صور الشرك الأصغر)

ومن هذا الباب : الاستسقاء بالأنواء والنياحة على الأموات والرياء وغيرها

في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ) .

ثالثًا : توحيد الأسماء و الصفات وفيه مسائل :

المسألة الأولى : معرفة الله تعالى بأسماءه وصفاته – على سبيل الإثبات و التفصيل – أمرٌ غايةٌ في الأهمية لأمور :

- كل شيء موجود ثابت الوجود لابد أن تكون له صفة تميزه عن غيره ، ولابد له من اسم يدل عليه ، وأعظم الموجودات وأقدسها وأجلها لابد أن يكون له من الصفات الجليلة ما يقع به أعظم التمييز بين الخالق الجليل والمخلوق الضعيف ، وكذا أن يكون من الأسماء الحسنة ما يدل عليه ويُعرّف به ، والعقلاء جميعا متفقون أن الذي لا اسم له يدل عليه ولا صفة تميزه أنه لا شيء بل هو عدم محض ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ .

- أن شرف العلم بشرف المعلوم فلما كان الله تعالى أعظم الأشياء وأقدسها جل وعلا ، كان العلم الذي يعرّف به ويدل عليه أشرف العلوم .

- توحيد الأسماء و الصفات شامل لنوعي التوحيد السابقين " الربوبية و الألوهية " وحقيقة ذلك : أن من عرف أسماء الله تعالى المتضمنة لمعاني أفعال الربوبية فقد عرف توحيد الربوبية ، وكذلك الأمر في الألوهية .

المسألة الثاني : باب الأسماء و الصفات باب توقيفي ، لأنه باب غيبي .

قال شيخ الإسلام : (فَمِنْ الْمُحَالِ فِي الْعَقْلِ وَالدِّينِ أَنْ يَكُونَ السِّرَاجُ الْمُنِيرُ الَّذِي أَخْرَجَ اللَّهُ بِهِ النَّاسَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّورِ وَأَنْزَلَ مَعَهُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ؛ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَرُدُّوا مَا تَنَازَعُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ إلَى مَا بُعِثَ بِهِ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَهُوَ يَدْعُو إلَى اللَّهِ وَإِلَى سَبِيلِهِ بِإِذْنِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ بِأَنَّهُ أَكْمَلَ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ دِينَهُمْ وَأَتَمَّ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ - مُحَالٌ مَعَ هَذَا وَغَيْرِهِ: أَنْ يَكُونَ قَدْ تَرَكَ بَابَ الْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَالْعِلْمِ بِهِ مُلْتَبِسًا مُشْتَبِهًا وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ مِنْ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلْيَا وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ . فَإِنَّ مَعْرِفَةَ هَذَا أَصْلُ الدِّينِ وَأَسَاسُ الْهِدَايَةِ)

ومن المحال أيضاً أن تكون القرون الفاضلة غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين ، لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول ، وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما ممتنع .

فصل في قواعد متعلقة بأسماء الله الحسنى

۞ أسماء الله الحسنى بالغة الحسن ، فلا أحسن منها لا في ألفاظها و لا في معانيها ، ولا في وقعها على النفوس ، وفيضها على القلوب ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ .

۞ أسماء الله تعالى ينظر إليها باعتبارين :

الاعتبار الأول : أسماء الله أعلام تدل على الله تعالى ، وهي بهذا الاعتبار مترادفة ، قال تعالى :

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾

الاعتبار الثاني : أسماء الله تعالى أوصاف ، أي أنها ذات معانٍ ، فكل اسم من أسمائه تعالى له معنى .

۞ أسماء الله تعالى لا حصر لها ، لأن صفات الله و كمالاته لا حصر لها ، و هذا أصل عظيم يجب اعتقاده .

ففي حديث الشفاعة الطويل قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا ، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي)

وحسن الثناء و الحمد لا يكون إلا بالأسماء و الصفات .

فصل في قواعد متعلقة بصفات الله تعالى

الاعتقاد الصحيح في صفات الله يقوم على ثلاثة أسس عظيمة :

الأساس الأول : الإثبات ، فيجب أن يثبت لله كل ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ، لأنه لا أحد أعلم بالله و ما يليق به من الله تعالى بنفسه ، ولا أحد أعلم بالله وما يليق به من بعده من رسوله صلى الله عليه وسلم .

و الصفات المضافة إلى الله تعالى في القرآن والسنة على طريقتين :

١/ طريقة الإثبات .   ٢/ طريقة النفي .

والقرآن جاء بإثبات مفصل ونفي مجمل ، والنفي لا يأتي في القرآن و السنة لأجل النفي المحض ، و إنما يأتي لإثبات كمال ضد المنفي .

الأساس الثاني : تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق . قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

الأساس الثالث : تفويض علم حقائق صفات الله و كيفياتها إلى الله ، لأن هذا مما لا سبيل إلى العلم به و معرفته .

ويتبين ذلك بأصلين عظيمين ، و ومَثلين تطبيقيين :

أما الأصلان العظيمان :

فالأصل الأول : القول في صفات الله فرع عن القول في ذاته .

و الأصل الثاني : أن القول في جميع صفات الله تعالى من باب واحد ، نثبتها على ظاهرها بحكم اللسان العربي .

أما المَثلان التطبيقيان :

فالأول : عَنْ أَبِي رَزِينٍ العقيلي ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ، قَالَ: «نَعَمْ» ، قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا » .

والثاني : قال يَحْيَى بْنِ يَحْيَى : كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فجَاءَ رَجُلٌ فقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فَكَيْفَ اسْتَوَى ؟ قَالَ: فَأَطْرَقَ مَالِكٌ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلَاهُ الرُّحَضَاءُ ثُمَّ قَالَ: الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا .

فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُخْرَجَ .

فصل في قواعد متعلقة بأفعال الله تعالى

والمراد بأفعال الله : ما أضيف في النصوص الشرعية إلى الله تعالى بصيغة الفعل .

❁ أفعال الله تعالى نوعان اثنان :

النوع الأول : أفعال لازمة ، وهي صفات فعلية قائمة بذات الله تعالى ، لا تتعدى إلى مفعول ، كاستوائه على عرشه ، ونزوله إلى السماء الدنيا .

النوع الثاني : أفعال متعدية تتعدى إلى مفعولات ، فالصفة قائمة به تعالى ، و لها أثر هو المفعول المخلوق ، كصفة الخلق .

❁ يدخل في باب الفعل المتعدي عموم صفة المدلول عليها بقوله تعالى : ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ ، وتحت عموم صفة الفعل يدخل كل ما ذكر في القرآن من أفعال بصيغة الفعل مضافا إلى الله تعالى ، كالاستهزاء و السخرية و المكر والكيد .

الباب الثاني الإيمان بالملائكة عليهم السلام

والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان وأصل من أصول الدين ، وهو من الغيب الذي آمنا به .

وتوضيح هذا الباب في مسائل :

المسألة الأولى :

الإيمان بالملائكة حتم لازم على المؤمنين ، والكفر بهم كفر بالله رب العالمين ، قال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ .

وفي الحديث المتفق عليه ، المعروف بحديث جبريل وسؤاله للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان ، فقال : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ »

المسألة الثانية : الإيمان بالملائكة إجمالي وتفصيلي :

فمن جهة الإجمال : أن لله تعالى ملائكة كرامًا ، وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأنهم أعداد كثيرة لا يحصيهم إلا الله تعالى .

ومن جهة التفصيل : نؤمن على وجه الخصوص بمن ذكر لنا أسماؤهم أو وظائفهم من ملائكة الله ، فنؤمن بجبريل عليه السلام أمين الوحي ونؤمن بميكائيل عليه السلام الملك الموكل بالقطر والسحاب قال الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾

ونؤمن كذلك بملك الموت الموكل بقبض الأرواح قال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾

المسألة الثالثة : الملائكة الكرام هم جند الله تعالى الموكلون بالسماوات والأرض وإدارة شؤون العالم بإذن الله تعالى قال تعالى :

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۞ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۞ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۞ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۞ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ أما المرسلات : فهي الملائكة يرسلها الله تعالى بالأمر من أمره ، كذا فسرها أبو هريرة رضي الله عنه و مسروق و مجاهد و السدي و الربيع بن أنس و غيرهم ، وفسرها بعضهم

بأنها : الرياح ترسل بالسحاب و الغيث ، وهو قول ابن مسعود و رجحه الإمام ابن كثير رحمه الله .

وأما الفارقات والملقيات : فهم الملائكة قولا واحدا ، تفرق بين الحق و الباطل و تلقي إلى أنبياء الله الوحي .

وقال تعالى : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۞ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۞ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۞ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۞ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾

النازعات : الملائكة تنزع أرواح الخلائق للموت ، ولكنه نزعٌ بشدة لأرواح الكفار .

و الناشطات : الملائكة تقبض أرواح المؤمنين بسهولة .

والسابحات : الملائكة تسبح في هذا العالم بأمر الله تعالى .

والسابقات : الملائكة سبقت إلى الإيمان و تسبيح الله تعالى .

والمدبرات : الملائكة تدبر أمر السماوات والأرض بإذن الله تعالى .

و قال تعالى : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۞ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۞ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾

والصافات : الملائكة صفوف في السماء عند ربها .

والزاجرات : الملائكة تزجر السحاب و تسوقه .

والتاليات : الملائكة تنزل بالقرآن و الوحي من عند الله .

وقال تعالى : ﴿ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴾ أي : الملائكة تقسم الأرزاق بأمر الله تعالى ، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله تعالى .

المسألة الرابعة : الملائكة عليهم السلام أجسام نورانية ، خلقوا من النور ، ولا يراهم أحد على صورتهم الحقيقية إلا الأنبياء و الرسل عليهم السلام، ولهم صفات جليلة عظيمة ، قال تعالى : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ و قال تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾

المسألة الخامسة : الملائكة الكرام هم مادة الخير ، ورسل الأمن و الطمأنينة ، وبهم يسدد الله تعالى عباده المؤمنين ، ويربط على قلوبهم ، ومن حب الملائكة الكرام للمؤمنين ، أنهم يستغفرون لهم عند الله تعالى ، ويطلبون التثبيت لهم حتى يصيروا إلى رحمة الله ورضوانه .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾

وصلاة الملائكة : هي دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۞ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

قال الإمام التابعي الكبير مطرف بن عبد الله بن الشخير –رحمه الله تعالى– :

وجدنا أنصح العباد للعباد الملائكة وأغش العباد للعباد الشياطين ، وتلا :

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ .. ﴾ الآية .

الباب الثالث الإيمان بالأنبياء عليهم السلام والكتب المنزلة

وتوضيح هذا الباب في مسائل :

المسألة الأولى :

حاجة النّاس إلى رسالات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فوق حاجتهم إلى الروح والحياة والنور ، ولذلك امتن الله بها عليهم ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

ويتضح ذلك بما يلي :

أولا : أن هناك معارف وعلوما لا سبيل أبدا إلى معرفتها بالطُرُق العلمية والمعرفية ، إلا عن طريق خبر صادق يخبر عن هذه الغيوب العظيمة وهذه وظيفة المرسلين

ثانيا : العلم بالله و أمره وشرعه وثوابه و عقابه غيب محض ، لا يعرف إلا من طريق الأنبياء و الرسل عليهم السلام .

المسألة الثانية : يجب وجوبًا عينيًا على كل مسلم أن يؤمن بجميع أنبياء الله تعالى ورسله دون تفريق بين أحد منهم ، فالكفر ببعضهم كفر بالجميع .

والإيمان بالرسل يكون إجماليا و تفصيليا :

أما الإجمالي فالمراد به الإيمان بجميع أنبياء والله ورسله وهم جمع غفير وعدد كبير ، يقول تعالى : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ ، وجاء في حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قَالَ: قلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَمْ وَفَّى عِدَّةُ الْأَنْبِيَاءِ ؟ قَالَ : «مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا» رواه أحمد

أما التفصيلي : فالمراد به الإيمان بمن ذُكر لنا أخبارهم وأسماؤهم في القرآن والسُنة على وجه الخصوص . وقد ذكر الله جل وعلا في القرآن خمسة وعشرين نبيًا من أنبياءه عليهم الصلاة والسلام ، فوجب الإيمان بهم على وجه الخصوص .

المسألة الثالثة : الأنبياء بشر من البشر يجري عليهم ما يجري على البشر ، قال الله تعالى مبينًا خطاب الرسل لأقوامهم : ﴿ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ وفي هذه الآيات أعظم البيان في رد افتراء المفترين وضلال الضالين الزاعمين أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم خُلق من نور ، و الرسل مع كونهم بشرًا إلا أنهم أكمل الناس خُلقا وخَلقا ومن خيرة أقوامهم نسبًا وأصلاً وحسبًا ثم جميعهم رجال ، ليس في النساء نبوة مطلقا ، وكونهم صلوات الله عليهم من البشر هو أوفق وأرفق بالخلق فالحمد لله رب العالمين

المسألة الرابعة : الأنبياء عليهم السلام فضلهم الله على غيرهم من البشر بخصائص جليلة منها :

- الوحي العظيم الذي كانوا به أنبياء قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ ، **وربما كلّم بعض أنبياءه بلا واسطة كما كلم نبينا محمداً و أخاه موسى عليهما الصلاة و السلام**
- ومنها : أنها تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم في الصحيح : « وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ »
- ومنها : أنهم يُخيرون عند الموت ويُستأذنون قبل قبض أرواحهم كما في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُول

اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلَّا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ » .

- ومنها : أنهم يُقبرون في البقعة التي قَضوا فيها كما عند أحمد من حديث أَبي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « لَنْ يُقْبَرَ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ »

- ومنها : أن الأرض لا تأكل أجسادهم إلى يوم القيامة رُوي من حديث أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ ، قَالَ : قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِم » . .

المسألة الخامسة : العصمة

عصم الله أنبياءه من كل ما يُخل بالنبوة ويقدح في إتمام الرسالة ، والعصمة في حقهم ترد في أمور :

- العصمة في حفظ ما أوحاه الله إليهم و في إبلاغه قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ قَالَ: جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ .

- العصمة من كبائر الذنوب والفواحش و خوارم المروءات قال تعالى :

﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

- اذا وقع من بعضهم اجتهاد خلاف مراد الله نزل الوحي بلومهم وعتابهم ، تطهيرا لهم وتقويما ، قال تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾

وفي الحديث : (قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ، فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ)

المسألة السادسة : دلائل النبوة

جعل الله تبارك وتعالى مع الرسل آيات هي علامات وبراهين صدقهم، إعلامًا من الله تعالى للعباد أن هؤلاء هم رسله الصادقون، ليتحصل للعباد من الحجج والبراهين ما يميزون به بين النبي الصادق والمُتنبئ الكذّاب، ومن تلك الدلائل:

- ما يُخبر به الأنبياء والرسل من الأخبار الصادقة عن المغيبات العظيمة التي لا سبيل لمعرفتها والوصول إليها قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝ ﴾ وقال: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

قال شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– : (فذكر سبحانه أنَّ هذا الَّذي أَوْحاهُ إليه من أَنْبَاءِ الْغَيْبِ، مَا كانَ يَعلَمُهُ هو ولَا قَوْمُهُ من قَبْلِ هذا. فإذا لَمْ يَكُنْ قَوْمُهُ يَعْلَمُونَ ذلكَ لا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ولَا مِنْ غيرِهِم، وَهُو لَمْ يُعَاشِرْ إِلَّا قَوْمَهُ، وقَوْمُهُ يعلمونَ ذلكَ مِنْهُ، ويَعلمونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ ذلكَ، ويَعْلَمُونَ

- أَيضًا - أَنَّهُ هُوَ لَمْ يَكُنْ تَعَلَّمَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُعَاشِرُ غَيْرَهُمْ، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، صَارَ هَذَا حُجَّةً عَلَى قَوْمِهِ، وَعَلَى مَنْ بَلَغَهُ خَبَرُ قَوْمِهِ)

- **من عرف تفاصيل ما جاءت به الرسل علم أنهم أعلم الخلق وأصدقهم وأنفعهم للخلق** لما تضمنته شرائعهم من إيصال الحقوق ونصر المظلوم و توجيه العباد لعبادة رب العباد .

قال ربعي بن الحارث رضي الله عنه - مُعبّرًا عن ذلك - لما سأله رستم قائد الفرس يوم معركة القادسية : (مَا جَاءَ بِكُمْ ؟ قَالَ: اللَّهُ ابْتَعَثَنَا ، وَاللَّهُ جَاءَ بِنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سِعَتِهَا ، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الإِسْلامِ ، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ مِنَّا ذَلِكَ قَبِلْنَا ذَلِكَ مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ ، وَتَرَكْنَاهُ وَأَرْضَهُ يَلِيهَا دُونَنَا ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا ، حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللَّهِ) .

- ما ظهر من حسن أخلاقهم وطيب شمائلهم قالت خديجة رضي الله عنها ولمّا تعلم ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ

الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ)

- ما أجراه الله على أيديهم من المعجزات الباهرة ، والمعجزة : خرق حقيقي للعادة يُغير حقائق الأشياء .

مسألة الفرق بين المعجزة وبين كرامات الأولياء : المُعجزة والكرامة أمران خارقان لا يملك العبد الإتيان بها إذا أراد وإنما يأتي بها الله وحده تبارك وتعالى ، وهما منحتان ربانيتان تمنحان لا تطلبان ، وهذا القدر مشترك بينهما ، ويفترقان في أمور منها :

- المعجزة تكون مقرونةٌ بدعوى النبوة بخلاف الكرامة ، ولا يدعي النبوة وليٌّ صالح .
- الكرامة إنما تحصل لمُتبع النبيّ ﷺ ، فهي من دلالات صدق نبوة الأنبياء عليهم السلام .
- الكرامة أمور معتادة للصالحين وأما المعجزات فآيات كبار فوق ذلك .

المسألة السابعة : خصائص الرسالة المُحمدية .

من المقطوع به عند أهل السُنة أن الأنبياء يتفاضلون ، كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ .

وأفضل الأنبياء جميعا سيدهم وإمامهم نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا . .

وهو : أبو القاسم مُحَمَّدْ بن عَبدِ اللَّهِ بْن عبد المطلب بْن هاشم بْن عَبْد مناف، بن قصي بن كلاب ، ابن مرة بْن كعب بْن لؤي بْن غَالِب بْن فهر بْن مَالِك بْن النضر بْن كنانة بْن خزيمة بْن مدركة بْن إلياس بْن مضر بْن نزار بن معد ، بن عدنان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وقد آتاه ربه تبارك وتعالى من الفضائل و الخصائص ما لم يؤتَ أحدٌ من الأنبياء . .

وخصائصه عليه الصلاة و السلام ثلاثة أقسام :

١ : خصائصه في ذاته وشخصه الشريف صلى الله عليه وسلم

٢ : خصائص شاركته فيها أمته ونالها من بركته الخير الكثر

٣ : خصائص رسالته

أولاً : خصائصه في ذاته وشخصه الشريف صلى الله عليه وسلم لا يشركه فيها أحد مطلقًا ، منها :

- أنه أُعط جوامع الكلم " وهو الكلام اليسير الحاوي عظيم المعاني " كما عند مسلم من حديث أبي هريرة : (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ . .)
- أنه أول من ينشق القبر عنه يوم القيامة كما عند مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ)
- أنه دعوة أبيه ابراهيم عليه السلام كما أخبر تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ وبُشرى أخيه عيسى عليه السلام كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾

- أذاع الله خبره في السماء ، وشاع نبأه عند الأنبياء ، وأُخذ عليهم العهد أن لو بعث بين ظهرانيهم أن يؤمنوا به ويتبعوه ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ وفي الحديث : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا ، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي)
- أنه صاحب المقام المحمود وهو موقف الشفاعة العُظمى لفصل القضاء ، وهو المقام المهيب الذي يتخلف عنه الأنبياء عليهم السلام ، قال تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾
- أنه أول من يمر على الصراط كما في حديث أبي هريرة : (وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ) .
- أعطاه الله الكوثر والحوض المورود يوم القيامة ، قال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ والكوثر قيل : الخير الكثير ، وقيل نهر في الجنة .

- أنه صاحب الوسيلة وهي الدرجة التي لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله تعالى .

ثانيًا : خصائص شاركته فيها أمته ونالها من بركته الخير الكثير منها :

- النصر بالرعب ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام : (وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ) فهذه له ولأمته ما أقامت الجهاد في سبيل الله ولم تركن للظالمين .
- حل الغنائم ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام : (وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي)
- أمته إجابته آخر الأمم زمنًا ، وأسبق الأمم مقامًا وفضلًا قال تبارك وتعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ فالخيرية باقية في الأمة ما أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر . . وفي الحديث قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ)

ثالثًا : الخصائص العظيمة لرسالته عليه الصلاة والسلام ومنها :

- **أنها الرسالة الخاتمة** فهي خاتمة الرسالات وبه عليه السلام انقطاع النبوة ،

قال تبارك وتعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ "

ومعنى ختم النبوة : انقطاع الوحي من السماء ، وانتهاء إنباء الله للناس بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك لانتهاء أسباب بعثة الأنبياء والرسل والتي يمكن اجمالها في عدة أسباب :

السبب الأول : ألا يكون قد جاء إلى أمة رسول يهديها و يعلمها مع حاجتهم لذلك ، وهذا السبب ارتفع برسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى العالمين

السبب الثاني : اندثار رسالة الرسول ووقوع التحريف فيها ، وهذا السبب مرتفع في شأن دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمصادر دينه محفوظة ، فالقرآن محفوظ من الزيادة ، والنقصان والتحريف وسيبقى كذلك محفوظا معجزا متحدا به جميع الثقلين .

السبب الثالث : أن تكون شريعة النبي ناقصة فتحتاج إلى رسالة بعدها تكمل نقصها أو تفصل مجملها ، وهذا السبب أيضا منتف و مرتفع في شأن دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

وقال أبو ذر: لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه و سلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما

- كون رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم عامة للجن والإنس جميعا ، وقد تنوعت الدلالات في القرآن و السنة على عموم رسالته عليه الصلاة والسلام ، **أما دلالة القرآن الكريم** فمنها :

قال تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

يقول ابن كثير –رحمه الله تعالى– : (يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ قُلْ ﴾ يَا مُحَمَّدُ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ وَهَذَا خِطَابٌ لِلْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَالْعَرَبِيِّ وَالْعَجَمِيِّ، ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ أَيْ: جَمِيعُكُمْ، وَهَذَا مِنْ شَرَفِهِ وَعَظَمَتِهِ أَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَأَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً)

و قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

و قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾

قال الطبري –رحمه الله تعالى– : (ليكون محمد لجميع الجنّ والإنس، الذين بعثه الله إليهم داعيا إليه، نذيرا: يعني منذرا ينذرهم عقابه ويخوّفهم عذابه)

أما دلالة السنة فمن جهتين :

الجهة الأولى : السنة القولية ، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ

الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ)

أما الجهة الثانية :

فهي سنته العملية ، ويتمثل ذلك في كتبه و رسائله التي بعثها إلى ملوك الأمم يُعلِمُهم أنه رسول الله و يدعوهم إلى الإيمان بالله .

كما في الصحيح من حديث ابن عباس في رسالة النبي إلى هرقل : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ و ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾)

المسألة الثامنة : حقوق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته :

- أعظمها الإيمان الصادق به نبيًا و رسولًا قال تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

وعن العباس بن عبد المطلب قال : قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا)

- أن نطيعه طاعة تامة في كل ما أمر و أن ننتهي عما عنه نهى و زجر . قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾
- محبته عليه الصلاة والسلام محبة عظيمة تفوق محبة كل مخلوق .
- الذب عنه و عن عرضه و دعوته و نبوته و رسالته ، وهذا من تعزيره و توقيره عليه الصلاة و السلام قال تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

قال الإمام إسحاق بن راهويه : (أجمع المسلمون على أن من سب الله أو سب النبي صلى الله عليه وسلم أو دفع شيئًا مما أنزل الله عز وجل أو قتل نبيا من أنبياء الله عز وجل : أنه كافر بذلك وان كان مقرا بكل ما أنزل الله)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– :

(وتحرير القول فيه : أن الساب إن كان مسلما فإنه يكفر ويقتل بغير خلاف وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم وقد تقدم ممن حكى الإجماع على ذلك إسحاق بن راهويه وغيره)

- تعلم سنته الشريفة و حفظ أحاديثه المنيفة ما أمكن قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾
- كثرة الصلاة والسلام عليه – صلى الله عليه وسلم – ، بل ويجب عند ما يُذكر صلى الله عليه وسلم كما في حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ** »

المسألة التاسعة : الإيمان بكتب الله تعالى المنزلة أحد أركان الإيمان العظيمة .

والإيمان بها إجمالي و تفصيلي :

أما الإجمالي : فنؤمن بما أنزل الله من كتاب ، ما عُرف منها وما لم يعرف .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾ أي آمنت بكل كتاب أنزله الله من قبل .

و أما التفصيلي : فنؤمن على سبيل التفصيل بما ذكر لنا من كتب الله المنزلة على أنبيائه و هي أربعة :

التوراة أنزلها الله على نبيه موسى عليه السلام .

و الإنجيل أنزله الله على نبيه عيسى عليه السلام .

و الزبور أنزله الله على نبيه داود عليه السلام .

و صحف إبراهيم .

و القرآن الكريم وهو أشرف كتب الله المنزلة و خاتمتها .

المسألة العاشرة : القرآن الكريم .

هو كتاب الله المجيد ، فيه نبأ ما قبلنا و حكم ما بيننا ، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، و من ابتغى الهدي في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، و حجته البالغة ، و معجزة رسوله الخالدة ، وهو كلام الله بحروفه و معانيه

قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

و قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ أي : أن القرآن الكريم مصدقٌ لما في الكتب السابقة و ناسخٌ لها و مهيمنٌ عليها ، فما فيها من حق وصدق فالقرآن يصدّقه ، و ما فيها من حق أخفاه الأحبار والرهبان فالقرآن يظهره و يبينه و يكشفه .

قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾

و ما فيها من باطل وبهتان فقد كشفه القرآن و رده ، و حكم عليه بالضلال والبهتان قال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا

يَكْسِبُونَ ﴾ ، ثم إن هذا القرآن باق كما أنزله الله ، محفوظ بحفظ الله له ،

قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ، قال الإمام الطبري

-رحمه الله تعالى- : (يقول تعالى ذكره : (إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ) وهو القرآن (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) قال : وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل مَّا ليس منه ، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه) ، قال عليه الصلاة و السلام: (مَا مِنَ الْأَنْبيَاءِ مِنْ نَبيٍّ إِلَّا قَدِ اُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

الباب الرابع الإيمان بقضاء الله وقدره

إثبات القدر و الإيمان به من أصول الديانة التي دعا إليها ووضحها جميع رسل الله تعالى عليهم الصلاة و السلام .

قال الله تعالى في خطاب نوح عليه السلام لقومه : ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ و قال الله تعالى على لسان هود لقومه :

﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ۞ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

و إثبات القدر مما أجمع عليه الصحابة و التابعون و التابعون لهم .

روى ابن بطة من حديث **عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ** قَالَ : خَطَبَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْجَابِيَةِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَتَى عَلَى مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَالْجَاثَلِيقُ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ بِقَمِيصِهِ فَنَفَضَهُ وَقَالَ : بركست بركست ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا يَقُولُ عَدُوُّ اللَّهِ ؟ فَقَالُوا : لَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، ثُمَّ أَعَادَهَا فَتَشَهَّدَ فَقَالَ: مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، فَقَالَ الْجَاثَلِيقُ بِقَمِيصِهِ فَنَفَضَهُ وَقَالَ: بركست بركست، فَقَالَ

عُمَرُ: مَا يَقُولُ عَدُوُّ اللَّهِ؟ قَالُوا: يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَهْدِي وَلَا يُضِلُّ، فَقَالَ عُمَرُ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، بَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَكَ وَهُوَ أَضَلَّكَ، وَهُوَ يُدْخِلُكَ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَاللَّهِ لَوْلَا لَوْثُ عَهْدٍ لَكَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَثَرَ ذُرِّيَّتَهُ فِي يَدِهِ، فَكَتَبَ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَأَعْمَالَهُمْ، وَأَهْلَ النَّارِ وَأَعْمَالَهُمْ، وَقَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ، وَهَذِهِ لِهَذِهِ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ وَهُمْ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي الْقَدَرِ"

قال الإمام أبو عمرو الأوزاعي -رحمه الله تعالى- (أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ فِي الْقَدَرِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ يُقَالُ لَهُ: سَوْسَنُ، كَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، ثُمَّ تَنَصَّرَ، فَأَخَذَ عَنْهُ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ وَأَخَذَ غَيْلَانُ عَنْ مَعْبَدٍ) .

و تلقى مقالة نفي القدر من سيسويه البقال النصراني : كلٌّ من معبد بن عويمر و غيلان بن مسلم الدمشقي ، وروجوا لها و نشروها ، وقد رد علهم وتبرأ منهم الصحابة رضي الله عنهم .

قال عبد الله بن عمر : (فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي» ، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ)

المسألة الأولى : القدر لغة : القضاء و الحكم .

و قال الحافظ ابن حجر : (القدر : علم الله تعالى بالأشياء قبل كونها ، وخلقه ما سبق به علمه وإراده) ، و قال أبو المظفر السمعاني : (الْقَدَر سِرٌّ مِنْ أَسْرَار اللَّهِ تَعَالَى اخْتُصَّ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ بِهِ وَضَرَبَ دُونَهُ الْأَسْتَار وَحَجَبَهُ عَنْ عُقُولِ الْخَلْقِ وَمَعَارِفِهِمْ لِمَا عَلِمَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ فَلَمْ يَعْلَمْهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ)

و التقدير على خمسة أنواع :

النوع الأول : التقدير العام لجميع الخلائق ، كما في حدث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي قال : (كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)

و حديث عمران بن الحصين أن النبي قال : (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ)

النوع الثاني : وهو تقدير سعادة الإنسان أو شقائه و عمله و أجله .

النوع الثالث : التقدير الخاص لكل إنسان كما دل عليه حديث ابن مسعود مرفوعا : (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً

مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ)

النوع الرابع : التقدير السنوي في ليلة القدر .

قال تعالى : ﴿ حم ۞ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۞ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۞ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۞ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

وعَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿ فِيهَا يفرق كل أَمر حَكِيم ﴾ قَالَ : (يكْتب من (أم الْكتاب) (فِي لَيْلَة الْقدر) مَا يكون فِي السّنة من رزق أَو موت أَو حَيَاة أَو مطر حَتَّى يكْتب الْحَاج يحجّ فلَان ويحج فلَان)

النوع الخامس : التقدير اليومي .

المسألة الثانية : مراتب القدر .

الإيمان بالقدر لا يتحقق إلا بالإيمان بأربع مراتب :

المرتبة الأولى : العلم ، وهو علم الله بالأشياء قبل كونها . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا : : (مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلاَ تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ)

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾

قال عكرمة : (المستقدمون : من قد خُلِقَ ومن خلا من الأمم ، والمستأخرون : من لم يخلق) ، وقال قتادة : (المستقدمين : من مضى ، والمستأخرين: من بقي في أصلاب الرجال) .

وعلم الله تعالى بالأشياء على نوعين :

١/ علم الغيب السابق للأشياء قبل كونها .   ٢/ علم الشهادة .

قال تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾

قال الإمام الطحاوي : (خلق الخلق بعلمه و قدر لهم أقدارا و ضرب لهم آجالا ، لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم و علم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم)

المرتبة الثانية : مرتبة الكتابة ، قال تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۞ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾

و قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

وفي حديث أَبو هُرَيْرَة ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا ، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ) ، قال ابن القيم : (وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب)

المرتبة الثالثة : الإرادة و المشيئة .

قال الإمام الشافعي – في رواية الربيع – عن المشيئة :

(المشيئة إرادة الله قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ فأعلم الله خلقه أن المشيئة له دون خلقه وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء الله)

واعلم أن إرادة الله تعالى ، و مشيئته متعلقة بكل ما يقع و يحصل سواء كان هذا الواقع محبوبا لله أو مكروها له .

والإرادة نوعان :

فالإرادة الأولى : هي إرادة القضاء و التقدير الكونية العامة وهي متعلقة بكل ما يقع كقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ وقوله : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾

والإرادة الثانية : إرادة الأمر و التشريع ، وهي متعلقة بما أمر الله به شرعا و رضيه وقد تشترك الإرادتان وقد تنفصل ولذلك تكون الأحوال على أربعة أقسام بحسب تعلق الإرادة :

القسم الأول : ما تعلقت به الإرادتان الكونية و الشرعية ، كالإيمان من المؤمن .

القسم الثاني :ما لم تتعلق به أي من الإرادتين ، كالكفر من المؤمن .

القسم الثالث :ما تعلقت به الإرادة الكونية دون الشرعية ، كالكفر من الكافر .

القسم الرابع :ما تعلقت به الإرادة الشرعية دون الكونية ، كالإيمان من الكافر .

المرتبة الرابعة : مرتبة الخلق ، فنؤمن أن الله خلق كل شيء و قدره تقديرا .

والمخلوقات على نوعين :

إما أعيان كالإنسان و الحيوان و الجبال ، و إما أفعال : هي حركات تلك الأعيان .

أما خلقه تعالى للأعيان فهذا محل إجماع جميع طوائف الأمة .

و أما خلقه تعالى لأفعال العباد و حركاتهم فهو الذي عليه أهل السنة .

و هنا مباحث مهمة :-

المبحث الأول :

أن أفعال و حركات المخلوقات على نوعين :

١/ حركات اضطرارية : و هي الصادرة من المخلوقات من غير إرادة ، و هذا أجمعت عليه الطوائف أنها مخلوقة لله تعالى .

٢/ حركات اختيارية : و هي التي يفعلها القادر المختار .

فأهل السنة : يقولون بأن أفعال العبد الاختيارية مخلوقة لله ، و العبد هو الفاعل لفعله حقيقة وهو المريد له .

ويقال: إن أفعال العباد ينظر إليها باعتبارين:

الاعتبار الأول: ما يتعلق بالله تعالى وهو أنه خالق أفعال العباد، **لأنه لا خالق إلا الله**، فالله تعالى خالق كل شيء. وهذا قضية إجماعية أجمع عليها أهل السنة من لدن الصحابة فمن بعدهم. قال تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ وقال النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ)

الاعتبار الثاني: ما يتعلق بالعبيد الفاعلين، وأنهم هم الفاعلون لأفعالهم على الحقيقة. وأن أفعالهم تنسب إليهم مدحا وذما وثوابا وعقابا. قال تعالى: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾ وفي حديث أبي ذر أن النبي قال فيما يرويه عن ربه تعالى: (يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)

المبحث الثاني :

أهل السنة يفرقون بين الفعل و المفعول ، و الخلق و المخلوق .

فالخلق فعله تعالى ، وهو من صفاته القائمة به ، و المخلوق هو أثر ذلك الفعل من أفعاله تعالى ، فأفعال العباد إذن مخلوقة لله مفعولة له و ليست هي نفس فعله و صفته تعالى .

قال الإمام البخاري في الجامع الصحيح : (بَابُ مَا جَاءَ فِي تَخْلِيقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَغَيْرِهَا مِنَ الخَلاَئِقِ وَهُوَ فِعْلُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَأَمْرُهُ، فَالرَّبُّ بِصِفَاتِهِ وَفِعْلِهِ وَأَمْرِهِ وَكَلاَمِهِ، وَهُوَ الخَالِقُ المُكَوِّنُ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَا كَانَ بِفِعْلِهِ وَأَمْرِهِ وَتَخْلِيقِهِ وَتَكْوِينِهِ، فَهُوَ مَفْعُولٌ مَخْلُوقٌ مُكَوَّنٌ»)

و قال أيضا : (وَكَذَلِكَ تُؤَدَّى جَمِيعُ لُغَاتِ الْخَلْقِ مِنْ غَيْرِ اخْتِلَافٍ بَيْنَهُمْ، وَإِنَّمَا هُوَ الْفَاعِلُ وَالْفِعْلُ وَالْمَفْعُولُ، فَالْفِعْلُ صِفَةٌ وَالْمَفْعُولُ غَيْرُهُ، وَبَيَانُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ وَلَمْ يُرِدْ بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ نَفْسَهَا وَقَدْ مَيَّزَ فِعْلَ السَّمَوَاتِ مِنَ السَّمَوَاتِ)

وما ذكره الإمام البخاري هنا من وجوب التفريق بين الفعل و المفعول ، و بين التخليق وهو صفة الله تعالى و المخلوق ، وبين التكوين الذي هو فعل الباري تعالى وبين المكون ، **هو الجواب الفصل في هذه المسألة**

قال شيخ الإسلام : (وَأَئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَجُمْهُورُهُمْ يَقُولُونَ إنَّ اللَّهَ خَالِقُ هَذَا كُلِّه . وَالْخَلْقُ عِنْدَهُمْ لَيْسَ هُوَ الْمَخْلُوقَ، فَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ كَوْنِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةً مَفْعُولَةً لِلرَّبِّ، وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَفْسُ فِعْلِهِ الَّذِي هُوَ مَصْدَرُ فِعْلٍ يَفْعَلُ فِعْلًا ، فَإِنَّهَا فِعْلٌ لِلْعَبْدِ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ ، وَلَيْسَتْ فِعْلًا لِلرَّبِّ تَعَالَى بِهَذَا الِاعْتِبَارِ ، بَلْ هِيَ مَفْعُولَةٌ لَهُ، وَالرَّبُّ تَعَالَى لَا يَتَّصِفُ بِمَفْعُولَاتِهِ .)

المبحث الثالث :

معنى تأثير قدرة العبد :

المراد به : أن خروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بتوسط القدرة المحدثة ، بمعنى أن القدرة المخلوقة هي سبب وواسطة في خلق الله سبحانه و تعالى الفعل بهذه القدرة ، كما خلق النبات بالماء و كما خلق جميع المسببات و المخلوقات بوسائط ، و هذا شأن جميع الأسباب و المسببات .

المسألة الثالثة : ثمرات الإيمان بالقضاء و القدر :

١/حسن التعبد لله تعالى ، و الشعور الدائم بالافتقار إليه و أن أَزِمَّة الأمور كلها في يديه .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾

٢/الرضا عن الله تعالى في أقداره و الصبر على بلائه .

قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾

وفي وصية النبي لابن عباس : (يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)

وفي صحيح مسلم أن النبي قال : (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)

٣/ الإيمان بالقدر من أعظم البواعث على العمل .

الباب الخامس الإيمان باليوم الآخر (يوم القيامة)

قال تعالى : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۞ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾

و ما بقي من الدنيا قليل بالنسبة لما مضى منها ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي قال : (إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلَا مِنَ الْأُمَمِ، مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ)

والله عز وجل قد أخفى وقت الساعة عن جميع الخلق ، فلا يعلم أوان وقوعها أحد إلا الله ، لا ملك مقرب و لا نبي مرسل .

قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً

﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ و الإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالله تعالى ، و الكفر به أو إنكاره أو التشكيك فيه كفر بالله تعالى ، و طعن في قدرته ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾

و قال تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ و قال تعالى : ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾

فصل القيامة و أسماؤها

يوم القيامة يوم الفزع الأكبر اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة ، و قد رحم الله كل المؤمنين فأعفى كل من في قلبه مثقال ذرة من إيمان من فجاءة القيامة ، فيبعث الله ريحا طيبة بين يدي الساعة فتقبض أرواحهم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: اللَّهُ، اللَّهُ) ، وقد سمى الله هذا اليوم بأسماء كثيرة تنبئ عن عظيم شأنه و كثرة أهواله و أحداثه .

فهو يوم القيامة و اليوم الآخر والغاشية و القارعة و الحاقة والصاخة والطامة الكبرى ويوم الحسرة ويوم الحساب ويوم الدين ويوم الآزفة ويوم البعث ويوم الخروج و يوم الفصل ويوم الوعيد ويوم الخلود ويوم الجمع ويوم التغابن ويوم التناد .

فصل البعث بعد الموت و أدلته

و الإيمان بالبعث بعد الموت من أركان الإيمان العظيمة ، وهو أحد الجدليات الكبيرة و المستبعدات في تصور و اعتقاد كل من كفر بالله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

والبعث كائن لا شك فيه ولا مرية ، ومن الأدلة على ذلك :

١/ إخبار الله تعالى وهو العليم الخبير بوقوعه .

قال تعالى : ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾

قال : (أَيْ لَيْسَ صَيْرُورَتُكُمْ تُرَابًا بِمُعْجِزِ اللَّهِ عَنْ إِعَادَتِكُمْ كما بدأكم من العدم)

٢/ أن الذي سينشئ النشأة الثانية هو الذي خلقنا أول مرة ، قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۞ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ وقال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۞ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾

قال ابن كثير : (وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ ﴾ لِلْجِنْسِ، يَعُمُّ كُلَّ مُنْكِرٍ لِلْبَعْثِ .

﴿ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ أَيْ: أَوَلَمْ يَسْتَدِلَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ بِالْبَدْءِ عَلَى الْإِعَادَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ ابْتَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ

مهينٍ، فَخلقهُ مِنْ شيْءٍ حقيرٍ ضَعيفٍ مهينٍ . . . فَالّذي خَلَقهُ مِنْ هَذِهِ النُّطْفَةِ الضّعيفةِ أَلَيسَ بقادِرٍ علَى إعادَتِهِ بَعْدَ مَوْتهِ ؟ !)

٣/ خلق السماوات والأرض التي هي أعظم من خلق الإنسان وبعثه قال تعالى :

﴿ لَخَلْقُ السّمَوَاتِ وَالأرْضِ أكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ ولَكِنّ أكْثَرَ النّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

٤/ أن الله تبارك وتعالى أمات بعض الناس في هذه الدنيا ثم أحياهم كما صنع ذلك ببعض بني اسرائيل ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُوا ثُمّ أَحْيَاهُمْ إِنّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّاسِ ولَكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

وكإحياء الله تعالى الطير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطّيْرِ فَصُرْهُنّ إِلَيْكَ ثُمّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنّ جُزْءًا ثُمّ ادْعُهُنّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

٥/ إحياء الله تعالى الأرض الميتة بالمطر والغيث قال تعالى : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

٦/ وكذلك فإن حكمة الله تعالى وعدله تقتضي بعث العباد للجزاء والحساب ، قال تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

فصل أشراط الساعة

قال الله تبارك وتعالى :

﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾

جعل الله تبارك وتعالى بين يدي الساعة علامات وأمارات وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما سيكون بين يدي الساعة وفي هذا تحقيق لمقاصد شرعية عظيمة منها :

- أن أشراط الساعة وأماراتها هي جزء من الاعتقاد الغيبي الذي يجب فيه تصديق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
- أنها من أهم الدلائل الدالة على صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصحة رسالته .

- هذا باب خبري يقيني لذلك هو توقيفي سمعي ، لا مدخل لغير دليل السمع فيه .

❋ وقد قسم العلماء أشراط الساعة إلى قسمين أساسيين :

١ : أشراط الساعة الكبرى ٢: أشراط الساعة الصغرى

أما الصغرى : فهي كثيرة ومتعددة **منها** ما وقع وانقضى كبعثته صلى الله عليه وسلم **ومنها** ما هو قائم مستحكم كرفع العلم ونزول الجهل **ومنها** ما لم يقع كانحسار الفرات عن جبل الذهب .

أما الكبرى : فهي عشر آيات عظيمة يكون بها فتنٌ و بلاءات عظيمة .

عن حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: " إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ – فَذَكَرَ – الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ "

قَالَ شرف الدين الطِّيبيُّ : (الْآيَاتُ أَمَارَاتٌ لِلسَّاعَةِ إِمَّا عَلَى **قُرْبِهَا** وَإِمَّا عَلَى **حُصُولِهَا** فَمِنَ الْأَوَّلِ الدَّجَّالُ وَنُزُولُ عِيسَى وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَالْخَسْفُ وَمِنَ الثَّانِي الدُّخَانُ وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ وَالنَّارُ الَّتِي تَحْشُرُ النَّاسَ) .

فصل في القيامة وأهوالها

أول شيء يطرق أهل الدنيا من أحداث الساعة : نفخة الفزع قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ والصور بوق عظيم وقرن كبير وهو من الغيب الذي يجب الإيمان به .

فإذا نفخ المَلك هذه النفخة الأولى عند ذلك قامت القيامة ووقعت الواقعة وجاءت الصاخة فتميد الأرض بأهلها وتذهل المرضعة عن رضيعها والخليقة في هول عظيم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

فيهرب الناس شرقا وغربا ولكن أين المفر ؟ ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۞ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۞ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۞ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۞

﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ۞ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ ويقول تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۞ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۞ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۞ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۞ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۞ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۞ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۞ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۞ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۞ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾

فبينا الناس في هذا الهول العظيم إذ يأمر الله المَلَك الموكل بالصور فينفخ نفخة الصعق فيصعق كل من في السماوات ومن في الأرض إلا ما شاء الله ، فإذا هم جميعًا خامدون ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ .

وإذا هلك العباد تفنى أجسادهم وتبلى عظامهم ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

ويبقى الحال على هذا أربعون – الله أعلم بقدرها – في الصحيح عن أبي هريرة مرفوعًا : «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قال : «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ، كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ» .

فصل في البعث والنشور وأحوال الناس في القبور

ثم يأذن الله للملك فينفخ في الصور نفخة البعث ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ۞ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۞ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ .

وأول من ينشق عنه القبر هو النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»

فتبعث الخلائق من القبور يُبعثون عبيدًا حفاةً عراةً غرلًا ، لا يسترهم شيء ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۞ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۞ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾

كل مسؤول عن نفسه مشغول بها ، قد ذهل الوالد عن ولده وغفل المولود عن والده ! ! **قال تعالى :** ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾

ولشدة الهول والفزع لا ينظر الناس إلى بعضهم إلى بعض رغم العُريّ الذي هم فيه ، كما في خبر عائشة رضي الله عنها قالت : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ : «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ؟ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ» ويبعث كل إنسان على الحال التي مات عليها كما في حديث جابر رضي الله عنه : (يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ)

وأول من يُكسى من الخلائق إبراهيم الخليل عليه السلام كما في حديث ابن عباس : (وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ) .

فيُحشر الناس إلى أرض المحشر :

أما المؤمنون الصالحون فهم الآمنون المُطيبون ، الوفود المُكرمون : قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۞ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۞ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

وأما الكافرون و الفاسقون والفاجرون المجرمون فهم المفزوعون المذعورون ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ و قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ و قال تعالى : ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾

حتى إذا حشر العباد وأُوقفوا على أرض المحشر تباينت أحوالهم هناك بحسب أحوالهم في الدنيا إن خيرا فخير وإن شرًا فشر . نسأل الله أن يسلمنا في الدنيا والآخرة .

فصل الإيمان بالشفاعة

والشفاعة تكون في ذلك اليوم العظيم ولا يتجاسر عليه أحد من الخلق لا ملك مُقرب ولا نبي مرسل حتى يأذن الله تعالى، قال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ و قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ .

الشفاعة العظمى :

وذلك اليوم العظيم يوم ظهور فضل سيد المرسلين ويوم بروز مكانة إمام المتقين، يوم يأتي الناس نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد اعتذار أولي العزم من الرسل، فيأتونه فيقول: (أنا لها)، كما قال صلى الله عليه وسلم: (فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ) فيستجيب الله له وذلك أنه أُعطي عليه الصلاة و السلام دعوة مستجابة اختبأها شفاعة لأمته، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي

شَفَاعَتِي لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا)

وهذه الشفاعة العظمى هي المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ . .

وهناك شفاعات أخرى للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره من الأنبياء ، بل وللملائكة والشهداء وصالحي المؤمنين منها :

- الشفاعة لكثير من أهل الذنوب والكبائر من المسلمين ممن أدخلوا النار أن يخرجوا منها ثم يؤذن لهم بدخول الجنة .
- الشفاعة في أهل الجنة ليدخلوها بعد أن يُحبسوا على قنطرة دونها ، وهذه خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم .
- الشفاعة في قوم من أهل الجنة في زيادة درجاتهم .
- شفاعةٌ خاصة صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب .

وأسعد الناس بالشفاعة أهل الإيمان الصادقون ، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قلت يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي

عَنْ هذَا الحَدِيثِ أَحدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ »

فصل الإيمان بالحساب والميزان

والناس يوم الحساب أصناف ، منهم الذي لا حساب عليه ولا عذاب وهم صفوة المؤمنين ، وأما الكفار فحسابهم عسير ووقوفهم طويل نسأل الله العافية و السلامة ومن العباد من يحاسب حسابا يسيرا فلا يُدقق معهم وإنما تعرض عليهم أعمالهم عرضا ، **قال تعالى :** ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾

وفي الصحيح من حديث عَائِشَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الحِسَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ» .

ومن العباد من يناقش الحساب مناقشة فيعسر عليهم حسابهم ويطيش صوابهم وهم أصحاب الجرائم الكبيرة والذنوب العظيمة من عصاة أهل

الإيمان – الذين شرهم كثير وخيرهم قليل – ثم تدركهم رحمة أرحم الراحمين جل وعلا فيكون مآلهم الى الجنة باذنه تعالى .

والميزان حق ينصب يوم القيامة وهو ميزان حق و قسط ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ وهو ميزان حقيقي وله كفتان كما في الحديث : (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ) .

فصل الإيمان بالحوض المورود

وفي هذا اليوم العظيم يُكرم الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بإعطاءه الحوض الذي قال عنه عليه الصلاة والسلام : (حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ) كما في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو .

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ

عَنْ حَوْضِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ»

وسيُردّ عن حوضه صلى الله عليه وسلم أهل الإحداث و الابتداع كما في الحديث : (فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا)

قال القرطبي –رحمه الله تعالى– : (قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين : فكل من ارتد عن دين الله ، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله ، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه ، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها ، والروافض على تباين ضلالها ، والمعتزلة على أصناف أهوائها ، فهؤلاء كلهم مبدلون ، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق ، وقتل أهله وإذلالهم ، والمعلنون بالكبائر المستحفون بالمعاصي ، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع)

فصل الإيمان بالصراط

والصراط: جسر يُضرب على متن جهنم .

في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ »

وفي حديث أبي هريرة: (وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ . . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ)

وفي الحديث: (فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ)

فصل الإيمان بالجنة ونعيمها و النار وجحيمها

و نؤمن بالجنة و النار وأنهما مخلوقتان موجودتان لا تفنيان ولا تبيدان ، فإن الله تعالى خلق جنة و النار وخلق لهما سُكانًا وأهلاً وأصحابًا ، قال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ ، وهذا هو نهاية المطاف الطويل ومستقر الخلائق أجمعين إما جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين أو نارٌ – عياذا بالله – هي الجحيم ، مستقر أعداء الله المجرمين : ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ ، ولا يزال الله تعالى يزيد في الجنة من النور و الجمال ، والحسن والبهاء ، والنعيم والتكريم :

﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

وفي الحديث القدسي : (قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) ، ولا يزال الله تعالى يزيد في النار من الظلمة و العذاب ، والجحيم والأغلال ، نعوذ بالله من عذابه وأليم عقابه .

فصل الإيمان برؤية الله تعالى في الآخرة

وهذا هو الأمر العظيم ، والجزاء الكريم ، والمنحة الجليلة ، التي يصغر عندها كل نعيم ، رؤية الله رب العالمين ، فيالها من لحظة تخفق القلوب شوقًا لها ،قال تعالى :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾

قال ابن أبي العز –رحمه الله تعالى– : (وَإِضَافَةُ النَّظَرِ إِلَى الْوَجْهِ، الَّذِي هُوَ مَحِلُّهُ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَتَعْدِيَتُهُ بِأَدَاةِ إِلَى الصَّرِيحَةِ فِي نظر الْعَيْنِ، وَإِخْلَاءُ الْكَلَامِ مِنْ قَرِينَةٍ تَدُلُّ عَلَى خِلَافِهِ حَقِيقَةٍ مَوْضُوعَةٍ صَرِيحَةٍ فِي أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ بِذَلِكَ نَظَرَ الْعَيْنِ الَّتِي فِي الْوَجْهِ إِلَى الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ)

قال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

وعَنْ صُهَيْب بن سنان ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "(إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ")

والكفار محرومون من النظر إلى ربهم مطرودون عن بابه ، قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ قَالَ الشَّافِعِيُّ : (لَمَّا أَنْ حُجِبَ هَؤُلَاءِ فِي السُّخْطِ، كَانَ فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ يَرَوْنَهُ فِي الرِّضَا)

اللهم إنا نسألك العفو والرحمة ولذة النظر إليك في غير ضراء مُضرة ولا فتنة مضلة ، اللهم زينّا بالإيمان واجعلنا هُداة مهتدين إنك ولينا وأنت أرحم الراحمين . .

تم بمنة الله وفضله في (٢٢ صفر ١٤٣٩ هـ) والحمد لله رب العالمين

مختصراه

غفر الله لهما ولوالديهما وللمسلمين